غضبة الحق . . !!

بقلم : الاستاذ عبد الصمد تركي
كويت : بلاد العرب

قف دون رأيك في الحياة مجاهداً ان الحياة عقيدة وجهاد

صلوات الله وسلامه على روحك الطاهرة يا أبا عبد الله فلقد وقفت دون مبدئك المقدس وقفة تجلت فيها سموّ العظمة الشخصية بأجلى مظاهرها ، ولقد جاهدت دونه جهاداً ضم الى بطولة الرجولة عزة النفس وإباءها وتجدة العزيمة الصادقة وفروسيتها . وتوجتها بتاج العظمة حيث أينما وجه الفاحص المدقق وجهة نظره في اية ناحية من نواحيها البارزة بروز الشمس في رابعة النهار ، وجد العظمة الشخصية متلألئة كالدرة في اعلاها . حتى كانت يتيمة التأريخ واسطورة الزمن الخالدة . حية الى ماله من خلود ، باقية الى ما للانسانية من وجود فيها ذكرى مريرة ، ولوعة مشجية ، كما فيها عظة بالغة للانسانية التي ترتضيها الاديان السماوية حيث فيها الأمن والسلامة والطمأنينة والسعادة الوارفة ، إذ لو سارت هذه الانسانية المعذبة اليوم على غرار ما سطرته لها من درس في مصحف الزمن لعمت الألفة ولاشتد اواصر حبل مودتها . ولكن هذه الانسانية في سبات عميق . برقت امام ناظريك آية ربك المنزلة على صدر جدك «ص» [اطيعوا الله والرسول واولى الامر منكم ..]

فأبت معدن ذاتيتك الأبية وقدسية نفسك الزكية أن تمد يد المبايعة ليزيد الفجور لعلمك ان في المبايعة الطاعة والطاعة كهذه هي المنكر بل والبغي والعدوان فأجبت من جاء لك بالمبايعة عارضاً [إنّا اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم ويزيد رجل فاسق شارب الخمر وقاتل النفس المحرمة معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله] ثم انك لم تكتف بهذه الكلمات التي لها معانيها السامية ومراميها العظيمة المغزى المتناهية المرمى ، وإنما اقمت في وجه هذا المنكر ثورة خالدة فارت كربلا من جرائها بحر من دمك القاني ، ثم بعثت في اعماق هذا البحر الخضم صرخة عصفت منها اهواجه فتلاقفته تلاقفاً هدّت عروشه وقوّضت اركان دعائمه القائمة على اعمدة من الظلم الفاحش . فبقي حتى عصر الذره والى ما بعده بتعاقب الحقب والأجيال لا تذكر مخازيه إلا وقرنت بالسب والشتم واللعن . ومعالمك الباقية مآثرها بقاء الذكرى المعزّ بها الدهر الخالد ، لاتذكر إلا وهي مشبعة بالتكبير والتهليل والتعظيم لعلم منك ان في هذه الثورة وفي هذه الصرخة قضاء على الانسانية الشريرة واظهار لحقوق المؤمنين المعذبين واليتامى المأكولين والمساكين المدهوسين ولو كان في هذا اخراج الروح المكرمة من جسدها العبق الفواح ، وما معنى خروجها إلا السمو الى الملكوت الأعلى وإنها صاعدة الى ربها راضية مرضية شاكية هذه الانسانية الشريرة اليه ..

لقد ترفعت عن البقاء [١] والعيش مع مثل هذه الانسانية فطارت الى علياء ملكوتها حيث بجوار جدها وابيها ، بعد ان مزقت اشلاء الضلال ومزقت حجب الظلام وطهرت الأرض من هذه الأدران . ادران ارجاس حثالة من بقية الجاهلية الاولى . ومع ذلك فقد رسمت على صفحة وجه الزمن درساً نأخذ منه معنى الانسانية الكاملة ، اذا ما تفهمناه ونتعلم منه الرجولة والبطولة والتضحية بكامل مراسمها ، ومعالمها ، اذا ما درسناه اوسبرناه ، ونستمد منه روح الاخاء والاباء والشمم اذا ماتعلمناه او تلقناه ، لامن افواه «النواحين» إذهم وحدهم الذين احاطوه بسياج من خزعبلات اضاليلهم وأراجيفهم . ولكن من تلك الأفواه المعطرة بعطر هذه الرسالة الخالدة من الذين اوجبوا على انفسهم بثها في الملأ من اولئك الرجال المبومين بالخطباء بكل ما في كلتي من معاني الخطابة الحقة ، حيث ذرف الدمعة وسكوبها وإن كانت وفية صادقة بريء منها حسين العز والشمم ما لم تكن عن معرفة ودراسه واسعة الاطراف لسمو شخصيته ولمكارم مقاصد ما قدم نفسه وعياله وكل آله الا ولأجلها إذ بهذه المعرفة وبهذه الدراسة الوافية يرقى الانسان الى مدارج الانسانية المنشودة في الأديان السماوية لا بالدمع وحده . وما للحسين من غاية سوى هذه الغاية . وهل غاية انبل واشرف وابلغ من هذه الغاية المقدسة وفي هذا المعنى قال الاستاذ نور الدين الاخوي:

[١] الضمير عائد للنفس .